الحبشي مكة عازمًا على تدمير الكعبة ، وكان الفيل هو الرّمز المرهوب لتلك الغزوة الضّارِيَة ، التي لم يتمّ إنقاذ الكعبة منها إلا بمعجزة من السّماء : بالطّير الأبابيل التي رمت الجيش الحبشيّ بحجارة من سِجّيل ، ويكفي أن نشير إلى أن السّورة القرآنيّة التي قَصّت علينا هذا الخبر حملت اسم « الفيل » ، وأن العرب أرّخَتْ بهذه الغزوة لما ملأ قلوبَهم من فزعها .

أمّا الصّورة « الحَيَوانيّة » الثّانية فهي التي أراد أن يصوّر فيها هيبة الرّسول ﷺ وما كان يخشاهُ من انتقامه ، بل من موقفه أمامه وهو في موضع المُساءَلة والامتحان ، فهو يرى أن مثل هذا الموقف أشدُّ من لقاء أسد ضارٍ كامِن في غَيْضَةِ « عثّر » الملتفّة الشّجر ، وهو أسدٌ لا يبحث عن صيد لرزقه فحسب ، بل كذلك لرزق شِبْلين له لا طعامَ لهما إلا من لحم من يَمرُّ في طريقهما من المسافرين أو من ضروب الحيوان ؛ ولهذا فإن الناس ولا سيّما الرّجّالةُ منهم يعملون على تجنُّب الاقتراب من عَرينه ، أمّا حَميرُ الوَحْش فإنها إذا اقتربت من واديه حبست أنفاسها وظلّت ساكنة حتى لا تستَثيرَهُ . ومع ذلك فلا يخلو الأمر من جاهل بأمره أو مُفْرِطٍ في الثّقة بنفسه ، يوقعه سوء حظّه في المرور بغِيل ذلك الأسد ، فإذا به فريسة سهلة لا يبقى منها إلا ثياب وخِرَقٌ مُمَزّقة .

ويختم كعب قصيدته بأبياتٍ يمدح فيها الرّسول ، ويخصُّ المهاجرين بالثّناء، ويشير إلى خروجهم من مكة إلى المدينة ، لا خوفًا ولا تهيُّبًا للقتال ؛ فهم أبطال مُتَمَرِّسون بالمعارك ، يقون أجسادهم بدروع ضافِيَة مَجْدولة الحَلَق ، فإذا ساروا إلى الحرب مشوا في قوّة وشموخ ، ولهم من رِباطَة الجَأش وثبات الجَنان ما يجعلهم وقورين ، لا يَستَخِفُّهم الانتصارُ على الأعداء ، ولا يجزعون إذا أصابهم قَرْحٌ ، وهم دائمًا يُقبلون على القتال ولا يُوَلّون الأدْبارَ ؛ ولهذا فإن الطّعْن لا يقع إلا في صدورهم . ولا يخلي الشّاعر آخر قصيدته من تَعْريض بالأنصار ؛ إذ إنهم كانوا يريدون إيقاع الرّسول به ، وعلينا ألا ننسى أن